

شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلاينة

الفصل الأول للعام ١٤٣٦





السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد..

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]،
ولا سهل لنا إلا ما سهلته لنا إِنَّكَ أَنْتَ الجواد الكريم يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك.

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

نسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا من الذين يجتمعون على طاعته ويتفرقون عليها.

قال الشيخ -رحمه الله-: "باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب".

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]، عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبيرة -رحمه الله- فقال: «أيكم رأى الكوكب الذي أنقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أنا فإني لم أكن في صلاة ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، قال: قد أحسن إلى ما انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل، والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذا رُفِعَ لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقبل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقبل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب»". اللهم اجعلنا منهم يا الله "«قال: ثم نهض فدخل

منزله فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبروه، فقال: -عزَّ وجلَّ- هم الذين لا يسترقون، ولا يكتون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله: ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة».

هذا الباب أخواتي الفضليات ذكره المؤلف -رحمه الله- أقول: بارك الله فيكم هذا الباب ذكره الشيخ محمد -رحمه الله- كأنه متمماً للباب الذي قبله، فإذا كنتَ تذكر الباب الذي قبله: **"باب فضل التوحيد ومن يكفر الذنوب"**.

فمن فضل التوحيد: دخول الموحدين الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهذا هو فضل عظيم من الله عز وجل يسعى إليه كل عاقل فضلاً عن كل مسلم، عرفتم -بارك الله فيكم-، فهذا الباب أرفع درجة ورتبة من الباب الذي قبله في بيان فضل التوحيد، فإن فضل التوحيد يشترك فيه أهله، وأهل التوحيد هم أهل الإسلام، ولا شك أن لكل مسلم نصيباً من التوحيد، ويكون تبعاً لهذا النصيب درجته، أو تكون تبعاً لهذا التوحيد درجته في الجنة، فمن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، ومن لم يحقق التوحيد دخل الجنة بعد الحساب وقد يعذب.

قال المصنف: **"من حقق التوحيد دخل الجنة"**: **"من حقق"**: التحقيق في اللغة معناه: التخليص، والتصفية، فمعنى حقق: خلص وصفى، لذلك عندما نذكر العلماء نقول: الذي رجحه المحققون، فالعلماء كثر، لكن الذين تميزوا بتحقيق المسائل، وتخليصها وتصنيفها مما شابهها من غيرها من مسائل فهؤلاء قليل، لذلك المحققون أقل في الأمة نسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم.

هذا في اللغة، لكن في التعريف الشرعي والذي يريد هنا، حيث إننا ندرس عقيدة وتوحيد فالتحقيق عن أهل التوحيد: هو تخلص التوحيد وتصفيته من الشرك، والبدع والمعاصي وكل ما ينافي التوكل.

فالآن -بارك الله فيكم- بناءً على هذا الكلام الذي يريد أن يحقق التوحيد ويخلصه، ويصفيه من الشرك، والبدع، والمعاصي، لابد أن يجتمع فيه ثلاثة أمور كما ذكر أهل العلم:

الأمر الأول: العلم.

الأمر الثاني: الاعتقاد.

والأمر الثالث: الانقياد.

العلم: فلا يمكن أن يحقق الإنسان شيئاً قبل أن يعلمه لذلك قال الله عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فلو أنه علم هذا الشيء لما حققه، وأيضاً لابد من الاعتقاد فإذا علمت ولم تعتقد بقلبك واستكبرت لم تكن محققاً للتوحيد قال الله عز وجل عن الكافرين لما تكلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا، قال الله عز وجل على لسانهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فما اعتقدوا توحيد الإلهية وانفراده -سبحانه وتعالى- بالعبودية.

والثالث الأمر الثالث: الانقياد فإذا علمت واعتقدت لكنك لم تنقادي، لم تحققي التوحيد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ ﴿الصَّافَاتِ ٣٥ - ٣٦﴾: يعني يستكبروا بقلوبهم، ثم يظهروا هذا الاستكبار على الانقياد بألسنتهم وأفعالهم ﴿وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]، فهذه الأمور الثلاثة إذا حصلت أصبح الإنسان من الذين حققوا ويحققون التوحيد وبعد ذلك فإنه بإذن الله عز وجل يدخل الجنة مضمونة له إن شاء الله.



الدرس الرابع

الآن بناءً على هذه المقدمة نقول: فالتوحيد باعتبار الحكم، نحن أخذناه فيما مضى التوحيد، وقلنا أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الإلهية، وربوبية، وأسماء صفات.

هناك تقسيم عام لكن من حيث الحكم نستطيع أن نقسمه إلى قسمين: تحقيق للتوحيد "واجب"، وتحقيق "مستحب".

كيف يعني واجب ومستحب؟ بناءً على النصوص التي مرت معنا نعلم أن التوحيد تحقيقه على أمرين:

الأمر الأول: تحقيق الواجب: وهو تخلص التوحيد من الشرك، والبدع، والمعاصي وهذا يجب على كل مكلف أن يسعى فيه، فإذا لم يحقق الإنسان توحيده من الشرك أصبح وضعه خطرًا، وكذلك البدع، والمعاصي والدليل على ذلك الآية الأولى، والثانية أيضًا التي معنا في الباب.

النوع الثاني: التحقيق المستحب: وهو تخلص القلب من التعلق بالمخلوقين، وترك ما فيه مذلة أو منة منهم.

الآن قال المؤلف -رحمه الله- بعد أن ذكر هذا الباب قال: **"وقوله"** نستطيع أن نقول: **"وقوله"** على أنها واو استئنافية، ونستطيع أن نقول: وقول على أنها عاطفة، وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ صلى الله عليه وسلم ما أجمل هذه الكلمة! ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

﴿أُمَّةً﴾ -أخواتي بارك الله فيكم- يعني: إمام، وكلمة ﴿أُمَّةً﴾ من باب الفائدة تأتي في القرآن على أربعة معاني، -سبحان الله أنا بالأمس لما أحببت أن أقدم هذه الفائدة للأخوات راجعت هذه الكلمة في جميع القرآن سبحان الله! موضعًا موضعًا في الحقيقة أنها لا تخرج عن معانيه الأربعة معاني:

المعنى الأول: تطلق في القرآن ويراد بها الإمام، كما معنا في هذه الآية: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ يعني إمام.

والمعنى الثاني للأمة: الجماعة ﴿إِلَّا أُمَّةٌ أَمَّتْكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُونُ﴾ [القصص: ٢٣]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢] وحقيقة: هذا المعنى هو الغالب في القرآن، أن تكون بمعنى الجماعة. طيب بارك الله فيكم.

المعنى الثالث: الدين أو الملة، وهذا دليله الخطأ الذي وقع فيه الأخوات: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢] يعني: إن هذا دينكم دين واحد وقوله أيضاً: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ﴿أُمَّةٍ﴾ يعني: على دين وعلى ملة.

والمعنى الرابع: العصر، أو الدهر، أو الوقت الخاص وقت خاص، طيب أن تكون بمعنى الدهر أو الوقت الخاص مثل قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، ﴿وَلَنِّ أٰخَرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود: ٨]: ﴿وَلَنِّ أٰخَرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ﴾ يعني: إلى وقت خاص أراده الله عز وجل أحسنتم بارك الله فيكم.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: هذا ثناء من الله عز وجل يثني به على هذا النبي العظيم، وهذا النبي هو أبو الأنبياء، مع أن نوح أبو الأنبياء كيف ذلك؟ هذا النبي صلى الله عليه وسلم أبو الأنبياء من حيث الاتباع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم على ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فهذا النبي الكريم هو أحد الرسل الكرام، بل هو أول أولي العزم من الرسل وهو قدوة في أعماله، وأفعاله، وجهاده، وعندما نقرأ الآيات القرآنية كما في هذه الصورة قبل هذه الآيات وبعدها، نجد حقيقة التعب والمشقة التي حصلت له صلى الله عليه وسلم مع قومه في سورة الأنعام: لما جاء وتكلم مع والده ثم مع قومه ثم حصلت له سبحانه الله! القصص مع قومه، ثم ذهب وعندما أراد التعرف على الله عز وجل فلما رأى كوكبًا، ولما رأى الشمس على قصة طويلة سبحانه الله! تدل على أن هذا الإمام النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قدوة في أعماله، وأفعاله.

"﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: إمامًا مقتدى به.

"﴿قَانِتًا﴾": يعني دائم الطاعة صلى الله عليه وسلم.

نعم انظري أختي بارك الله فيكِ أنتِ والجميع! الله عز وجل ذكره، ووصفه بأنه ﴿أُمَّةٌ﴾ يؤتم به، ويستفاد منه: أنه يزن أمة، فقد يأتي إنسان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويكون أتباعه أمم من الناس وهذا ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، وسيأتينا.

قال: "﴿قَانِتًا﴾" قلنا: مداوم على الطاعة والاستمرار فيها كل حال في السراء والضراء، قانت لله عز وجل.

"﴿حَنِيفًا﴾": مائلاً عن الشرك إلى الطاعة، وإلى التوحيد، ومجانباً كل ما يخالف الطاعة فَوَصَفَ صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بالإثبات والنفي بالوصفين ما هو وصف الإثبات أو الوصف الإيجابي؟ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾، ثلاث صفات: أمة - قانت - حنيف (طيب والوصف السليبي: ما هو الوصف السليبي؟ هو وصفه بوصفين، والوصفين طيبين، جميلين، الوصف السليبي: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ومناسبة هذه الآية للباب: أن إبراهيم عليه السلام قد حقق التوحيد وشهد الله عز وجل بذلك، والله عز وجل أمرنا أن نقتدي بهؤلاء القوم، قال الله عز وجل كما في صورة الأنعام التي فيها قصته قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَفْتَدِهِ﴾ يا محمد، وأخبر أمتك أن يقتدوا بهم.

فلما حقق التوحيد وشذبه عن الشرك وكل ما ينقصه الله عز وجل أمرنا أن نتبع أولئك القوم الذين مالوا عن الشرك ميلاً كلياً.

- شيخنا الحنيف وصف سليبي؟ لا، تقصدي أن معناها، الحنيف: معناه المائل عن الشرك، نعم هذا معنى، لكن أنا أقصد أختي بارك الله فيكِ، أخت أم ربيع سؤالها طيب الحقيقة بارك الله فيكم، أقصد من حيث الأدوات النحوية، الله عز وجل أثبت له صفات، ونفى عنه صفات، جيد؟ فأثبت له ثلاث صفات: أنه كان أمة، وأنه كان قانتاً، وأنه كان حنيفاً، ونفى عنه: صفة وهي: أنه لم يكن من المشركين الآن أختي بارك الله فيكِ ﴿وَلَمْ

يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " من حيث البلاغة هي تأكيد لقوله تعالى: **"حَنِيفًا"**: نسأل الله عز وجل أن يمتتنا على التوحيد، قلن آمين!.

قال في الآية الأخرى: **"وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ" [المؤمنون: ٥٩]**: -فتح الله عليكم- هذه الآية في سورة المؤمنون، وهي قوله، هذه الآية جاءت في خلال آيات سبقتها تتكلم عن المؤمنين، لكن المؤلف أراد ذكر الشاهد فمما سبقها: قول الله عز وجل: **"إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ" [المؤمنون: ٥٧]**، ثم بعد ذلك: **"وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ" [المؤمنون: ٥٩]**، فهذه الآيات في سورة المؤمنون هي فيها مدح خاص للمؤمنين **"وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ"** ما أجمل هذا الوصف!.

الشرك إذا أطلق فيراد به أمرين:

الشرك الأكبر، والشرك الأصغر.

فهنا الله عز وجل وصفهم بأنهم: **"لَا يُشْرِكُونَ"**، ويشركون: هذه فعل مضارع وعند أهل البلاغة: إذا تسلط النفي على المضارع، أفاد العموم، فيراد بقوله عز وجل: **"لَا يُشْرِكُونَ"** يراد به الشرك بالمعنى الأعم، الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر.

فتحقيق التوحيد لا يكون إلا باجتناب الشرك العام، سواء كان أكبرًا أو أصغرًا، لكن ليس معنى هذا الكلام ألا تقع منهم المعاصي، فنحن لا نريد أن نجبط من الهمم، بل نقول: إن كل ابن آدم خطاء والعصمة مع الأنبياء.

ولكن الله عز وجل وصف هؤلاء المؤمنين بأنهم إذا عصوا، وأذنبوا فورًا تابوا وأنابوا ورجعوا إلى الله عز وجل ولم يستمروا على هذه المعاصي، قال الله عز وجل: **"وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ" [آل عمران: ١٣٥]**، اللهم اجعلنا من الذين لا يقعون في الذنوب، وإذا وقعوا فيها رجعوا عنها وجه الاستدلال بهذه الآية على الباب أخواني بارك الله فيكم قوله: **"وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ" [المؤمنون: ٥٩]** قوله: **"لَا يُشْرِكُونَ"** يعني: نفي، فصار عندنا هنا أن من لم يشرك شرًا أكبر، أو شرًا



الدرس الرابع

أصغر فإنه ممن حقق التوحيد، وما ترك هذا الشرك إلا لأجل ماذا؟ توحيده - سبحانه وتعالى -، ثم ذكر الحديث: حديث حصين بن عبد الرحمن، والحديث قرأته عليكم قبل قليل.

قبل أن نبدأ في الكلام على هذا الحديث: حصين بن عبد الرحمن الأسماء التي وردت معنا في الحديث: حصين بن عبد الرحمن؛ هذا تابعي، والتابعي: من رأى الصحابي مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومات على ذلك، وإن تخلل عن ذلك ردة على الأصح كما ذكر ذلك الحافظ بن حجر وغيره من أهل العلم، حاله وتعريفه: التابعي.

والتابعين أقسام ثلاثة: كبار التابعين، وأواسط التابعين، وصغار التابعين، ثم ورد معنا في هذا الحديث سعيد بن الجبير، هذا من كبار التابعين، كيف نميز الكبار، والأواسط، والصغار؟ ليس يوجد في الضوابط يعني مئة بالمائة لكن نقول: من أدرك كمّاً هائلاً من الصحابة يعدُّ من الكبار، والأقل درجة من الأواسط: هو الذي لم يدرك إلا بعض الصحابة فهو من صغار التابعين وعند أهل المصطلح إن يسر الله ودرسنا مادة المصطلح سنخبركم بها، طيب، سعيد بن الجبير قلنا: من كبار التابعين وهو يروي عن ابن عباس.

الشعبي - رحمه الله -: أيضاً تابعي.

بريدة بن الحبيب: هذا صحابي رضي الله عنه.

قوله: "فقال": أي سعيد بن الجبير، قال: "«أيكم رأى الكوكب الذي انقض

البارحة؟»: فسعيد هنا يسأل عن ظاهرة سماوية، الصحابة لم يكن عندهم جهل والتابعين لا، لكنهم كانوا يسيروا هذه الأشياء بماذا؟ بالاعتبار والاتعاظ بها، فهنا سأل عن هذه الظاهرة السماوية وهي سقوط الكوكب، انقض كما قالت الأخت: أي سقط -بارك الله فيكم-، وهذا يدل على اهتمام السلف بالآيات الكونية والاعتبار بها، وبعضنا أو كلنا يعلم حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب في الكسوف لما كُسفت الشمس لموت

إبراهيم فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد من الناس»، ولكن الله عز وجل يريد منا الاتعاظ بهذه الظواهر السماوية.

قال: **"فقلت: أنا"**: الكلام هنا لحصين يعني أنا رأيته **"ثم قلت: -الحصين- أما إني لم أكن في صلاة"**، وهذا أخوات بارك الله فيكم جائز يعني إذا الإنسان خشي أن يظن فيه شيء ليس فيه سياد برفيه كي يقول لن أكل إذا عزم على طعام أو كذا ولست بصائم وهذا ليس فيه رياء.

قوله: أما إني لم أكن في صلاة الصلاة هنا نكرة ونرجع للقاعدة التي قعدتها لكم في بداية الدروس لم أكن في صلاة نكرة في سياق فتعم فهل المقصود هنا نفي صلاة الفرض أو صلاة الليل أو نفي الجميع؟

نقول: تدل على العموم هذه بالنهي عن جميع الصلوات لكن المقصود بها هنا صلاة الليل لأنه كان في الليل فهو عام يراد به الخصوص فغالب فعل الناس في الليل قيام الليل مع أن معناها يفيد كما قالت الأخوات بارك الله فيهن: نفي العموم والجميع. وقوله: **"انقض"**: يعني سقط كما قالت الأخت.

"البارحة": هي أقرب ليلة.

ثم قال -سبحان الله هذا الكلام-! قال: **"أما إني لم أكن في صلاة"** سبحان الله! والله يا أخوات -بارك الله فيكم- بعض الإخوة والأخوات يرائي بشيء لم يفعله يا الله! الرياء شيء مذموم، لكن إذا رأى الإنسان بشيء هو عمله، يعني نقول: هذا رجل مذنب، لكن انظرن بالله عليكم إلى الذنب المركب نرائي شيء مذموم ويرائي أو ترائي بشيء لم يكن يفعله، يا الله! يراي بشيء لم يفعله والله هذا شيء عجب! أنا وأقرأ في هذا الحديث سبحان الله! أتعجب -نسأل الله العافية- قولوا: آمين.

قال: **"ولكني لدغت"** يعني: لدغته عقرب أو أفعى، أو ما شبه ذلك، والذي يظهر أن لدغتها كانت شديدة الألم عليه -رحمه الله-؛ لذلك لم يستطيع النوم قام ولم ينم منها قام.

ثم قال: **"ارتقيت"** أي: استرقيت: طلبت الاسترقاء، ورقيت نفسي كما في رواية مسلم: **«استرقيت»**، ولكن في رواية مسلم كما سيأتي الكلام بعد قليل: شاذة، يعني طلبت الرقية ورقيت نفسي، سأله قال: **"فما حملك على ذلك"** يعني قال سعيد: ما السبب أنك استرقيت؟ فماذا أجابه؟ انظرون أخواتي -بارك الله فيكم- الجواب لا يكون من العقل، دغري أبدًا، إذا سألك سائل عن فعل معين لابد أن تخبره عن الدليل، أو أن تكوني أحدثت في شرع الله عز وجل، ما السبب أنك استرقيت؟ **"قال: حديث حدثناه الشعبي"**، والشعبي اسمه: عامر بن شراحيل الهمداني، هذا وُلِدَ في خلافة عمر رضي الله عنه، وهو من التابعين من الثقات، من فقهاء التابعين، مات -رحمه الله- سنة مئة وثلاث من الهجرة، وهذا فيه دليل على أن السلف -رحمهم الله ورضي عنهم- يتحاوروا في المسائل العلمية؛ حتى يصلوا إلى الحق والحقيقة.

فسعيد بن الجبير لم يقصد في هذا الانتقاد على هذا الرجل، لا، بل هو قصد أن يستفهم منه، أن يعلم ويعرف ما هو مستنده فيما فعل **"فقال: «لا رقية إلا من عين»"**. **"لا رقية"**: يعني لا قراءة ولا استرقاء على مرض أو مصاب، والرقية الشرعية: هي أدعية وأذكار من القرآن، ومن السنة الصحيحة علمها النبي صلى الله عليه وسلم لنا ندعو الله عز وجل بها؛ للاستشفاء، وهي ثابتة، وللأسف في هذا الزمن كثر الرقاة والراقيات، وأصبح هناك الإشكالات سبحانه الله عند الرقاة خصوصًا، وأكثر من يقع في هذه الإشكالات **"الأخوات الفضليات"** -نسأل الله العافية- أرجو من الأخوات أن يحذرن كل ما يعلمن ويعرفن من أخواتهن، وبناتهن، وأقاربهن، ألا يذهبن إلى رقاة، فإن كان لا محالة تذهب إلى راقية امرأة مثلها أما تذهب إلى راقية عجيب والله -نسأل الله العافية-، إلا - حتى لا نقطع الباب - إلا عند الضرورة وأن يكون معك محرم كبير ليس صغير يحملك - نسأل الله العافية-.

قال: **"إلا من عين"**: يعني من نظرة حاسد، نفسه خبيث، وما هؤلاء الناس وما زالوا موجدن إلى الآن، نفسه خبيث يتكيف بكيفية خاصة، ثم ينبعث منها أشياء يؤثر على

هذا المصاب "حسد" بعضهم يسميه، وبعضهم يسميها النفس، وهي موجودة معلومة، بعضهم إذا عان شيئاً أسقطه من السماء كما ورد في الأثر: «تدخل الجمل القدر، والرجل القبر»، أو كما قيل.

ثم قال: **"إلا من عين أو حمة"**، الحمة بضم الحاء وفتح الميم مع التخفيف لها، لا نشدها حمة، فالحمة تلك مرض آخر، لكن هنا الحمة: هي كل ذات سم، يعني لدغته إحدى ذوات السموم: عقرب، أفعى، وما شابه ذلك.

حصين - رحمه الله - استند على حديث **"لا رقية إلا من عين أو حمة"**، وهذا يدل على أن الرقية من العين أو الحمة مفيدة، وهذا أمر واقع أخواني، فإن الرقى تنفع - بإذن الله عز وجل - من العين، من الحمة أيضاً، وكثير من الناس يقرأون على ملدوغ فيبراً حالاً، ولا يخفاكم بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في مكان، استضافوا قومًا فلم يضيفوهم، لُدِغَ السيد، سبحان الله كيف! لعلهم كانوا يعني جفاة في المال، بخلاء - نسأل الله العافية - فقال: من يرقيه؟ بحثوا عن راقٍ ولم يجدوا، نعم، الأولى أن ترقى الأخت نفسها قال الله عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا﴾ [النمل: ٦٢]، فالمضطر، هو المضطر ولا أحدًا يدعو الله عز وجل كما يدعو المضطر، والله عز وجل يجيب المضطر، فكم من إنسان رجل أو امرأة دعا الله لمرض أصابه، وما أكثر انتشار السحر في هذه الأزمنة، - والعياذ بالله -.

كم من الإخوة والأخوات قرءوا على أنفسهم، وشربوا ماء زمزم، قرءوا على أنفسهم الفاتحة مثل الآن القصة، يعني الله عز وجل شفاهم، لكن القضية أخواني - بارك الله فيكم - تحتاج إلى صبر، فقال: هل فيكم راقٍ؟ قالوا: نعم، ولا ترقى إلا بشيء من المال أو الغنم، فقال: نعطيكم، المهم قرأ أحدهم عليه الفاتحة، كررها ثلاثاً، أو سبعاً، أو أكثر أو أقل، يعني لم يُذكر العدد، قال: فقام الرجل، فكأنما نشط من عقل، وهذا دليل على أنه انتفع بالقراءة، فلما رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذكروها وهم مستغربون هذه القضية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم: **«وما يدريك أنها رقية؟»** يعني: الفاتحة.

"قال: عرضت عليَّ الأمم": الله عز وجل عرضها، والذي يظهر -والله أعلم- أنها في المنام، فالأمم: جمع أمة، والأمم: أمم الرسل، والأمة؛ أمة النبي صلى الله عليه وسلم على قسمين:

أمة الدعوة أو الدعاء، وأمة الاستجابة.

أمة الاستجابة: هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه.
وأمة الدعوة: هم الذين يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدخول في الإسلام، وهم اليهود والنصارى ومن كان خارج الدين الإسلامي.

قال: "فرايت النبي ومعه الرجل، والرجلان": واو بمعنى أو، "ورأيت النبي ومعه الرجلان"، وليست بمعنى الجمع أو المشاركة الواو هنا، وإلا لقال صلى الله عليه وسلم: فرايت النبي ومعه الثلاث رجال، واختصر على نفسه، لكن هو أراد النبي معه رجل واحد، وهذا فيه فائدة عظيمة الداعية إلى الله عز وجل، وللداعية الرجل والمرأة، أنك وأنك حتى لو لم ترِ معك أحدٌ على الحق اصبري، فأنتِ أمة ولو كنتِ وحدك، فأنتِ الأمة وأنتِ الأمة لو كنتِ وحدك، ولك في هؤلاء الأنبياء قدوة حسنة، فإن بعض الأنبياء لم يسلم معه إلا رجل وبعضهم رجالان، وبعضهم ثلاثة، لكن بعض أمة محمد صلى الله عليه وسلم يأتون ومعهم رايات وأعلام، ما سبب رفعهم هذه الرايات؟ قال: هم هؤلاء كان معهم أتباع كثير فحتى يروهم يرفعون الرايات.

"قال: والنبي وليس معه احد" يا الله! نبي من أحب الناس إلى الله عز وجل الأنبياء، ثم بعد ذلك: الصالحون والصديقون، وما شابه ذلك، فيأتي بعض الأنبياء ليس معهم أحد يا الله! ما أعظم الله عز وجل في ذلك اليوم! يأتي بعض الأنبياء ليس معهم أحد، طيب لماذا يبعثهم الله عز وجل؟ بعثهم الله عز وجل؛ ليقيموا الحجة على الناس، حتى لا يقولوا: يا رب أنت لم تبعث لنا نبي أو رسول، فعندها الله عز وجل إذا أقام الحجة على الناس خلاص وقع الحق.

قوله: **"إِذْ رُفِعَ لِي"**: يعني هنا هناك شيء محذوف يعني بينما كذلك أنظر إلى الأنبياء الذين جاءوا وحدهم، والذين جاءوا معهم الرجل والرجلين.

قال: "إِذْ رُفِعَ لِي": (ظهر لي ٣٤:٤٠) يدخل كل من كان على غير الإسلام، وهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لكن أمة الدعوة؛ لأن النبوة والرسالة ختمت به صلى الله عليه وسلم، -بارك الله فيك على السؤال-.

"السواد العظيم": السواد يعني: الشخص، كما في قصة خالد بن الوليد أو غيره نسيت الاسم، قال: (والله لا يفارق سوادي سواده، حتى أكون أنا إلى الجنة، وهو إلى النار) يعني: لا يفارق شخصي شخصه، والسواد العظيم هنا يعني: أشخاصًا عظيمة كثر من كثرهم، وهذا فيه دلالة على أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من أكثر الأمم وهذا سيظهر الآن فإن هذا السواد العظيم الأول، ولم يكونوا أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال: **"فظننت أنهم أمي"**؛ لأن الأنبياء عرضوا عليه، كل نبي مع أمته فظن أن هذا السواد العظيم هم أمته، **"فقل لي: هذا موسى صلى الله عليه وسلم وقومه"**، وهذا يدل على كثرة أتباع موسى -عليه السلام- الذين آمنوا به، قال: فإذا سواد عظيم أعظم من الأول فقل لي: هذه أمتك، وهذا أعظم من السواد الأول؛ لأن أمة النبي صلى الله عليه وسلم قطعًا هي أكثر بكثير من أمة موسى فهي آخر الأمم، نسأل الله عز وجل أن يدخلنا الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال: **"بغير حساب ولا عذاب"** يعني: لا يعذبون ولا يحاسبون؛ كرامة له، والظاهر: أن هذا حتى في القبور، أن الله عز وجل -خلاص- يدخله فإذا دخل الإنسان في قبره، الله عز وجل يشره هذه البشارة أنك من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب -نسأل الله عز وجل أن نكون منهم-.

"فخاض الناس" ليش خاض الناس؟ لماذا؟ بأي شيء خاض الناس؟ لأنهم -أخواتي بارك الله فيكم- كانوا من أكثر الناس حرصًا على دخول الجنة، وهذا الخوض الذي خاضوه حقيقة وقع عملي أمام بيت النبي صلى الله عليه وسلم، من هم؟ من هم؟

أنا أقول: هؤلاء كذا، بعضهم الذين صحبوا رسول الله، يعني صحبة مطلقة، يعني طالت مدته، وبعضهم قال: هم الذين ولدوا في الإسلام، يعني بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن العدد ضخم جدًا سبعين ألف، الذين ولدوا الإسلام لم يكن هذا عددهم بل أقل بكثير.

"فخرج النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: «هم الذين لا يسترقون»"، هذه

الرواية في الصحيحين، ورواية: **«لا يرقون»**، كما قال الشيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- وغيره من المحققين، قالوا: هذا شاذة، في الرقية لا بأس بها ما لم تكن شرًا، وقد رقى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وهناك فرق بين الاسترقاء، والرقية: فالمسترقى: سائل، مستعطي، ملتفت إلى غير الله عز وجل بقلبه، لكن الراقي: محسن كما قال الشيخ الإسلام بن تيمية.

فالمراد كما قال هو -رحمه الله-: وصف السبعين ألف بتمام التوكل، نعم هم ذكروا أفضل الأعمال -كما قلت بارك الله فيك- في نظرهم، واسترقى بمعنى: استفعل، يعني: طلب الرقية، وطلب الرقية: فيه نقص في كمال التوحيد، فهم الأصل في هؤلاء القوم: أنهم لا يطلبون الرقية لماذا؟ لقوة اعتمادهم على الله عز وجل، ولعزة نفوسهم عن التذلل لغير الله، ولما في هذا الطلب من التعلق بغير الله، لهذه الأشياء الثلاث تركوا طلب ماذا؟ طلب هذه الأشياء، أعيدها.

ذكروه أهل العلم في كمال توكلهم على الله، وفيه ميل القلب للراقي، لذلك كثير من الناس يقول: أنا أذهب إلى فلان، أذهب إلى الراقي فلان، أقدم وأكبر، ويأتي على التلفاز -نسأل الله العافية-، فأصبح عندهم ميل لغير الله والتعلق بغير الله وهناك تذلل سبحانه الله!.

"لا يسترقون": يعني لا يطلبون الرقية وهذا النفي على مراتب:

المرتبة الأولى: أن يطلبوا من يرقيه، والذي يطلب من يرقيه هذا الإنسان فاته

كمال التوحيد.

المرتبة الثانية: أن لا يطلب من يرقيه، ولكن لا يمنع من يرقيه، وهذا أيضًا لم يفته الكمال؛ لأنه هو لم يطلب، لكنه لم يمنع، وهذا حصل مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم في مرض الموت، أخذت عائشة لترقيه فما منعها.

المرتبة الثالثة: أن يمنع من يرقيه أبدًا خلاص، لا يطلب، وإذا جاءه من يرقيه فيمنعه وهذا خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ترك عائشة ترقيه -رضي الله عنها- وكذلك الصحابة.

قوله: **"لا يكتون"**: لا يطلبون من أحد أن يكويهم.

والكي الظاهر أن فيه تفصيل، فـ **"لا يكتون"** يعني لا يطلبون من الناس الكي، لكن قد يكون هناك إنسان يداوي بالكي، والكي ورد في نصوص أكثر من حكم له، قال ابن القيم - عليه رحمة الله -: (تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع) انتبه إلى هذا الكلام: النوع الأول: فعله.

النوع الثاني: عدم محبته.

والنوع الثالث: الشاء على من تركه.

النوع الرابع: النهي عنه.

أعيد: ورد بعض الآثار بفعله، وبعض الآثار بعدم محبته، وبعض الآثار بالشاء على من تركه، وبعض الآثار بالنهي عنه، طب إيش نعمل؟ ورد في الصحيح عن جابر رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي بن كعب طبيب فقطع له عرقًا ثم كواه».

وأيضًا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه: «أنه كوى من ذات الجنب» والنبي صلى الله عليه وسلم حي قال ابن القيم - وهذا الكلام مفيد جدًا اضبطنه -، (ولا تعارض بين هذه الأشياء بحمد الله، فإن فعله يدل على الجواز، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الشاء على ذلك يدل أن تركه أفضل وأولى، وأما النهي عنه فعلى

سبيل الاختيار والكراهة، فنقول: يجوز فعله والأولى تركه، فإن لم يجد الإنسان إلا الكي اكتوى.

ثم قال: و"لا يتطيرون"، سيأتي معنا الكلام في باب كامل عنه يعني: لا يتشاءمون بالطيور.

أقول: الكي وردت فيه آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم بفعله كما ذكرت لكم الحديثين، آنفًا، ووردت آثار في عدم محبته، ووردت آثار في الثناء على من تركه، ووردت آثار في النهي عنه، والجمع كما أخبرتكم: أنه لا تعارض بين هذه الآثار كما قال ابن القيم وغيره: (ففعله يدل على الجواز، وعدم محبته له لا يدل على المنع، وأما الثناء على تركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل، والنهي عنه على سبيل الاختيار وتركه على سبيل الكراهة) يعني: تركه كراهةً له، واضح أخواتي؟.

فنقول وبالله التوفيق: أنه إذا لم يوجد إلا هذا الدواء، فيجوز التداوي به، ولا يضر ذلك، لكن لو وجد غيره فغيره أفضل.

يعني الآن -بارك الله فيكم- في هذه الأزمنة، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم إن صح هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع من ذلك، ويجوز ذلك -بارك الله فيكم-، لكن الذي مثلاً يسترقي هو لا يكفر بهذا الفعل، بل هو تنقص درجة التوحيد عنده، يعني هي ليست من كمال التوحيد، فيجوز هذا الأمر، لكنه ينافي كمال التوحيد طيب.

الآن التطير وقلنا: التشاؤم بالطير، وهو حقيقة أعم من ذلك، فبعضهم يتشاءم بالطير، بعضهم يتشاءم من الأشياء المرثيات، أو السمعيات، أو المسموعات أو في أزمنة معينة، أو في مكان، وهذا كله أبطله الشرع -نسأل الله العافية-.

لذلك قال في النهاية: «**وعلى ربهم يتوكلون**» ذكر الأصل الجامع الذي تضرعت عنه جميع هذه الأشياء والحاصل وهو "التوكل".

والتوكل: هو صدق الاعتماد والالتجاء على الله عز وجل مع الأخذ بالأسباب، فهذا الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً انتبه بل مباشرة الأسباب أمر مهم، النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أمر خاص نعم أنا سبحان الله! ما أدري ما هو الحديث هذا، فلا بد من الأخت أم ربيعة -بارك الله فيها- أن تأتينا بهذا الحديث في المرة القادمة -إن شاء الله بارك الله فيكم-.

لم أر ما هو هذا الحديث، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، أن تسترقي، سبحان الله! مع إني قرأت البخاري ومسلم لكن سبحان الله! إذا ثبت هذا النص فما معناه: أن تقرأ على نفسها هي وهذا لا مانع فيه -أختي بارك الله فيك- لا مانع من أن يرقى الإنسان نفسه، نعم يعني لا بد من مباشرة الأسباب، والتداوي ولا كراهة في ذلك -بارك الله فيكم-، لكن الإنسان إذا وقع في هذه الأشياء، طبعاً هذه الأشياء -انظرن هذه الأشياء لو نعيدها، إحدى الأخوات تكتب هذه الأشياء الأربعة:

لا يرقون، ولا يكتون، ولا يتطيرون، هذه الأشياء التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم منها ما تنافي كمال التوحيد، ومنها ما تنافي أصل التوحيد، الآن الاسترقاء ينافي كمال التوحيد، والاكتواء ينافي كمال التوحيد، لكن التطير ينافي إيش أخواتي بارك الله فيكم؟ ينافي كمال أم أصل؟ ينافي أصل التوحيد، فلا بد للإنسان أن ينتبه إلى هذه القضية نعم.

طيب، مسألة: إذا طلب منك إنسان أن يريقك في مرضك؟ فهل يفوت بكمال التوحيد إذا لم تمنعه لا، نعم -بارك الله فيكم- لا يفوتك كمال التوحيد، بل هذا وقع مع النبي صلى الله عليه وسلم مع عائشة كما ذكرنا.

قال: "فقام عكاشة بن محصن": عكاشة طبعاً هكذا ضبطه "عكاشة"، "عكاشة

بن محصن فقال: يا رسول الله: ادع الله عز وجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنت منهم».

الذي يظهر -والله أعلم- يعني هذا كان بوحى من الله عز وجل؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد يقول هذا الكلام بوحى إلهامى أو بواسطة رسول ينزل عليه، أو أن ينزل وحى ويقره، الحاصل: أنه كان بوحى من الله عز وجل أن عكاشة بن محصن منهم.

"ثم قام رجل آخر": وهذا فيه ستر ما السبب؟ فقال: **"ادع الله أن يجعلني**

منهم"، فالنبي صلى الله عليه وسلم أغلق الباب قال ماذا؟ **"قال: سبقك بها**

عكاشة" لماذا؟ حتى كما قال الإمام القرطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة، فلذلك لم يجبه إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك كل من كان حاضراً، فيتسلسل الأمر لغيره، فسد الباب بقوله ذلك.

وبعض أهل العلم قال: هذا الرجل من المنافقين أو كذا، لكن نحن نقول: الأقرب هو كلام الإمام القرطبي على هذا الرجل أن النبي صلى الله عليه وسلم سد الباب، وانظروا الرواة خلاص أهملوا اسم هذا الرجل حتى لا يتكلموا به.

أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من أهل التوحيد، هذا والله عز وجل أعلى وأعلم، (٤٧: ٤٨) في العلم إليه أسلم صلى الله عليه وبارك على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد:

وسؤال اليوم: استخراجي عشرة فوائد من حديث الباب الذي مر معنا، حديث حصين بن عبد الرحمن.

جزاكم الله خير على صبركم وحسن استماعكم، سبحانه الله وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله.